مقدّمة الكِتاب

في لعبة السباق مع الزَّمن الرّاهن، لطالما تساءلنا في لقاءاتنا كباحثات: مَن الذي يتخطّى الآخر نحن أم الزَّمن؟ وما إن شرعنا في التفكير بطرح موضوع الزَّمن، كمشروع لكِتاب الباحثات السنويّ، حتّى بدأت المسألة تتبلور في وعينا على مستويات مختلفة. لقد تراءت أمامنا تعقيدات العلاقة بين الزَّمن والتَّاريخ، ولاحظْنا كيف أنّ تصوّراتنا للزّمن غدت أكثر تعقيداً مع تسريع عمليّات التّبادل والتنقّل، لدرجة أنّنا بدأنا نستشعر الحاجة إلى تصوّرٍ جديدٍ للعلاقات الاجتماعيّة. وتوقّفنا مطوّلاً أمام مشكلة وقوعنا كأفراد وكمجموعات ومجتمعات في تناقضات يصعب الفكاك منها، نتيجة الهوّة القائمة بين الخطاب الاتّصالي المحكوم بالسرعة والآنيّة والمُباشرة من جهة، وتجربتنا على أرض الواقع وما يحيط بها من بطء وترهّل وجمود من جهة ثانية. وهذا ما زادنا يقيناً بأنّ إشكاليّة الزَّمن تقع في قلب تجاربنا الإنسانيّة سواء أكانت فرديّة أم جماعيّة.

وفي جلسات العصف الذهنيّ التي أجريناها، بغرض استنطاق وعينا لموضوعة الزَّمن ونحن في طَور التحضير لمشروع الكِتاب، تبيَّن لنا كيف تتداخل الأزمنة الذاتيّة مع الزَّمن الاجتماعي المعيوش في إطار الزَّمن العامّ الذي يُمكن

هيئة التحرير

توزيعه على أزمنة مختلفة: الزَّمن الإعلامي، المعلوماتي، القانوني، الاقتصادي، الفنّي، السياسي، بل حتّى الذكوري والأنثوي. فتساءلنا عن تمثّلات الأفراد والمجموعات للزَّمن تبعاً لثقافتهم ولمعاشهم، وعن علاقة الأجيال الجديدة بالوقت والمكان في ضوء مفهوم التَّزامن. والأهمّ أنّ التساؤلات عن أسباب الدَّوران المستمرّ لمجتمعاتنا العربيّة في فلك الأسلاف شغلتنا طويلاً، وكذلك المراوحة في حالة التخبّط عينها، على الرّغم من الانتفاضات والحراكات الشعبيّة المُطالِبة بالتغيير. وكان أن افترضنا أنّ أُطر التعامل مع الزَّمن تختلف من فئة لأخرى، أي لدى الرّاغب في تجميد الزَّمن، والساعي لتخطّي الحاضر نحو الغد، أو الباقي أسير الراهن والحاضر ولا يعنيه الماضي ولا يؤرقه المستقبل.

بعد نقاشٍ مطوَّل، تمكّنا من تشخيص عُمق المشكلة التي وجدناها تتمثَّل في أنّ زمننا السياسي اليوم غدا مرتبطاً بضيق المدى الجغرافي، فبدل وعينا للمسافات الواسعة جدّاً كالتي عاش فيها أجدادنا، أصبحت حدودنا الوطنيّة تتقلّص شيئاً فشيئاً، وبشكلٍ مُمَنهَجٍ ونظاميٍّ، لتغدو مساحات ضيّقة جدّاً مبنيَّة على جنسيّات وأقلّيات إثنيّة وطائفيّة ومذهبيّة. وكان لافتاً بالنسبة إلينا أنّ هذه الهويّات تتزايد عنفاً سنةً بعد سنة، وحرباً بعد حرب ، ودولةً بعد دولة، لتضعنا في خنادق قاتلة.

في ضوء ما تقدَّم، صغنا مشروع كِتاب باحثات السابع عشر مُثقلاً بأسئلة تتعلّق بمختلف جوانب تجربتنا الإنسانيّة كأفرادٍ وجماعاتٍ ودُول، واضعين إيّاه في سياقه «ما بعد الحداثي»، وفي قانونه المتمثِّل في تسريع وتيرة العمل من خلال المُشارَكة في زيادة سرعة الاستهلاك ورفع وتيرة العيش، وإن كنّا نعي أنّ الجدل في مجتمعاتنا حول «الحداثة والتقليد» لمّا ينته بعد، فهو ما فتئ يربطنا بالزَّمن، ويدور حول أفكار ما برحت في غالبيّتها أسيرة رؤيتَيْن مُتصارعتَيْن، خارجتَيْن عن إطارهما التاريخي الصحيح.

وبهدف الاطّلاع وفَهْم الآليات المعقّدة التي يعتمدها البشر للتصالح مع الزَّمن (ماضياً وحاضراً ومستقبلاً)، حملنا هذه الأسئلة والهواجس إلى مجموعة من الباحثين والباحثات في لبنان والبلدان العربيّة، فيما نحن طامحات إلى رصد التحوّلات النوعيّة الكامنة في تجاربنا كأفرادٍ وجماعاتٍ ودُولٍ في الزَّمن ومعه، بغرض معرفة كيفيّة تفاعل الأزمنة الاجتماعيّة في ما بينها، وكيفيّة تغلغل الزَّمن الإعلامي والاتّصالي في أوصال حياتنا

اليوميّة، علّنا نتمكّن من فهم ما تفعله البُنى الأكاديميّة والقانونيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والأجهزة الحكوميّة وغير الحكوميّة للتكيّف مع تَسارُع الزَّمن. لذا أخذنا بعَيْن الاعتبار توزيع هذه الأسئلة التي قدَّرنا أنّها تُحفِّز على التفكير انطلاقاً من مستويات اقتصاديّة وسياسيّة واجتماعيّة وقانونيّة، ولم نُهمِل المستويات الفنيّة والأدبيّة والإعلاميّة، وأَولَيْنا الأهميّة للمستويات الدينيّة والفلسفيّة والتاريخيّة، هذا عدا عن رغبتنا في سماع التجارب الفرديّة التي درجت العادة أن يوليها الكِتاب السنويّ لتجمّع الباحثات أهمّية خاصّة.

وكالعادة أَتَتْ تفاعلات الباحثين والباحثات مع مشروع الكِتاب الموسَّع بما لم نكن قد خطَّطنا له. فاستوت عناوين المَحاور بطريقةٍ أكثر حيويّة ممّا توقَّعنا، وضاعَفَتْ حماسة المُشارِكات والمُشاركين لموضوع الكِتاب من شغفنا بالمزيد من البحث في أسئلة الزَّمن التي تستولد نفسها يوماً بعد يوم. فدارَت الأوراق حول محاور أربعة.

المحور الأوّل - في تصوّرات الزّمن وتجلّياته

يبحث المحور الأوّل في اختلاف التصوّرات حول الزَّمن تبعاً لاختلاف العصور والكُتّاب والفلاسفة والمفكّرين، متوقِّفاً عند بعض تجلّياته في نماذج من الشعر والأدب والمسرح.

يخوض حسين قبيسي في التسميات المختلفة للزَّمن، ومفاهيمه المُتباينة بين الديانات والفيزياء، ويتوقّف عند اختلاف النَّظرة الروحانيّة إليه عن النظرة العلميّة، وعند تساؤلاتهما حول إمكانيّة تعريفه وقياسه، وفي ما إذا كان الزَّمن واحداً في جميع الظروف والعصور، ولدى جميع الشعوب، وفي مختلف الحضارات، أو أنّه يتغيّر تبعاً للمعطيات والوقائع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والعلميّة التي تميّز عصراً من العصور، ولا سيّما الزَّمن المُعاصِر الذي تعيشه الحضارة الغربيّة. ويخلص إلى أنّ محاولات الإجابة عن هذه التساؤلات المتعلّقة بموضوعة الزَّمن، وما يتفرَّع عنها من مفاهيم، تنطلق من منظورَيْن: كوسمولوجي وأنطولوجي.

تبحث فاديا حطيط عن تجلّيات الزَّمن في شعر حسن العبد الله المُخصَّص للأطفال، فتَجِد أنّ مفهوم الزَّمن الدّائري هو المُسيطِر على أشعار الديوان، كما لو أنّ ما يقوم به الفرد وما يمتلكه وما يخوضه من تجارب ليس له أهمّيّة. وتتوقَّف عند موقف الشاعر

المُتشائِم، ضمناً، من التجربة البشريّة، على الرّغم من الفرح الجليّ الذي تحمله كلماته، وكأنّه يرى أنّ اللّعب وتأمّل الطبيعة هما مصدر السعادة. وتخلص إلى أنّ الشاعر يتّفق بمفهومه عن الطفولة مع المعنى التقليدي الذي كان قد أرساه روسّو (Rousseau) حيث هي رمز البراءة والسعادة، وهو يخالف بذلك المُقارَبة الحديثة التي تسعى جاهدةً إلى ترجمة ما يريده الطفل باعتباره قادِراً على الفعل والتغيير.

تتناول وطفاء حمادي الزَّمن المسرحيّ بأنواعه المتعدّدة، كاشفةً عن كيفيّة تمظهره في عناصر بُنية النصّ والعرض، منطلقةً من مقولة أنّ الزَّمن هو جوهر المسرح، وإن كانت تعتبر أنّ زمن هذا الأخير متفرّدٌ وله منطقه الخاصّ، معتمدةً على ثلاثة نصوص وعرضَيْن. فتجد أنّ الزَّمن يُعتبَر بمثابة الشخصيّة الرئيسة الحاملة دلالات سياسيّة وفنّيّة معطوفة على مُقاربةٍ نسويّة تُجسِّد الواقع القهريّ للمرأة في كلّ الأزمنة. كذلك تبيِّن أنّ أزمنة هذه النصوص نقلت ثقافة المتلقّي وأزمنة وعيه بالقضايا السياسيّة والاجتماعيّة التي عاشها. أمّا الإخراج، فقد رسَّخ وظيفة الزّمن في العروض، وذلك بواسطة عناصر بصريّة وسمعيّة وأدائيّة نُسِجت بجماليّة سهَّلت من انسياب الزَّمن.

ينطلق عبد القادر بن عرب من صعوبة تحديد معنى الزَّمن بالنَّظر إلى تفلّته من قبضة الإنسان، متوقّفاً عند الفلاسفة والأدباء والشعراء الذين عملوا على ربط التجربة الزَّمنيّة بمحاور تجاربهم وخبراتهم الخاصّة، باحثاً في مقاربة الفلاسفة والأدباء لتحديد الزَّمن الإنساني. وهو يجد أنّ الفلاسفة سعوا إلى تعريفه من خلال نظرة ميتافيزيقيّة زادت من تعقيد هذا المفهوم وإبهامه. في حين أنّ الأدباء والشعراء أدرجوا الزَّمن من خلال شخصيّات الرواية أو الإحساس الذي تتضمّنه القصيدة للتعبير عن اختلافات العاطفة وذكريات الماضي الذي يذهب من دون رجعة.

المحور الثاني - في تسارع الزَّمن وتزامنه

يطرح المحور الثاني إشكاليّة تسارع الزَّمن وتزامنه بفعل التطوّرات التكنولوجيّة والاتّصاليّة المُتنامية يوماً بعد يوم، وما واكب ذلك من متغيّرات طاولت أساليب عمل الحكومات والشركات والمجموعات والأفراد، سواء أكان الموقف من هذه التطوّرات مُرحِّباً أم مُمتعِضاً.

يُجري محمّد الحدّاد حفريات ومراجعات في الذاكرة، في معرض تساؤله عمّا إذا كان «الحراك العربي» تسريعاً للزمن أم شللاً مؤقّتاً، عمّق أزمات المجتمعات العربيّة ودفعها إلى حركة تدمير ذاتيّ، تاركاً المجال لنظريّتَين حول الزَّمن تتنافسان في ذهنه: نظريّة الأزمنة فائقة الحداثة للفيلسوف ليبوفتسكي، ونظريّة الزَّمن الراكد للمفكّر العربي محمّد عابد الجابري، مُشرِّعاً الباب أمام تساؤلات عصيّة على الإجابة، كمثل: هل الثورات العربيّة فاتحة ثورات ما بعد الحداثة أم إنّها استمرار لمعارك داحس والغبراء وصفّين والجَّمل والفِتنة الكبرى؟ مُجيباً أنّ المستقبل مفتوح على احتمالات قد تكون عسيرة التصوّر في الوقت الحاضر.

يطرح عبدالله الحيدري جملةَ تساؤلات حول كيفيّة تعايش الزَّمن الاجتماعي مع الزَّمن الميدياتيكي خلال مرحلة تلاطم المشهد السياسي في تونس، وكيفيّة استيعاب الزَّمن التكنولوجي لصراع الأزمنة، وفي ما إذا كان الزَّمن الميدياتيكي يعمل على هدم الزَّمن الاجتماعي وإعادة تشكيله من جديد. وبهذا، يستنتج أنّ علامات التدنّي الوظيفي للمجال العمومي الميدياتيكي في تونس، المتجلّيّة بوضوح في التنافر العميق بين الواقع الذي يصنعه الإعلام العمومي والواقع الذي يعيشه المجتمع، لاحت في بدايتها ضرباً من ضروب الكشف عن فشل سياسي في إدارة الدَّولة؛ وأنّ القراءة الأفقيّة للزَّمن الميدياتيكي في تونس، تكشف عن تنافرٍ حادّ بين زمن الميديا العموميّة والزَّمن الاجتماعي، كما تَكشِف عن وجود مشكلة ثقافيّة عميقة تجرّ البلاد تدريجيّاً إلى الانقسام الاجتماعي واستفحال الفساد والاستبداد.

تلفت نهوند القادري إلى عمق الفروقات بين زمنيّتها وزمنيّة طلّابها، في معرض البحث عن تمثّلات الشباب الجامعي من أبناء الجيل الرقمي لزمنهم، بهدف معرفة ما إذا كان يسهل عليهم التحكُّم به فيما هُم يعيشون ظروفاً ضاغِطة محكومة بالتباعد والتداخل بين الأزمنة الإعلاميّة والواقعيّة، الاتصاليّة والأكاديميّة. وهذا ما يستدعي، بنظرها، تحويل الجامعة إلى مكانٍ لبناء علاقة مغايرة مع المعرفة، لتحفيز الطلّاب على إدارة مشروعاتهم، من خلال تدريبهم على طُرق البحث ومعالجة المعطيات وتحليلها وتنظيمها وحفْظها ونشرها. فتخلص بذلك إلى ضرورة تجنيب الطلّاب الغرق في لجّة المعلومات فائقة الغزارة، من خلال تحضيرهم لوعي لعبة الزَّمن بطريقة أكاديميّة تخوّلهم

أن يفقهوا معنى التفاعليّة، ويعوا مفاعيل السرعة والمباشرة والآنيّة على أدائهم التعليمي، ويدركوا الفروقات بين الحقيقة وما يشبه الحقيقة، بين الافتراضي والواقعي، ويكتسبوا مهارات التأمّل والتفكير وسماع النَّفس والعودة للداخل، قبل الشروع في الاتّصال.

تتساءل لمى كحّال عن كيفيّة تغلغل الزَّمن الإعلامي السريع في حياة الأفراد اليوميّة راسِماً معالِمها، مُسرِّعاً إيقاعها الرتيب، وعن إمكانيّة مواكبة الأفراد للسرعة التي يتّسم بها الزَّمن الاتّصالي في ظلّ ضغوط الحياة اليوميّة وتفاصيلها، دارسةً مجموعة من الحالات، مركِّزةً على متغيّر العمر. وتستنتج أنّ تكنولوجيا الاتّصال أحدثت تغييراً في مفهوم الزَّمن، لأنّ الفرد غدا من خلالها يعيش أزمنة مُتداخِلة تجعل الفصل بين الواقعي والافتراضي أمراً صعباً للغاية، مُنهيةً بحثها بتساؤلات اعتبرتها تتطلَّب مزيداً من البحث حول علاقة الإنسان المعاصر بالزَّمن وحول انتفاء متغيّر الجيل في العالَم الافتراضي.

يتساءل علي شكر عن إمكانيّة استمراريّة الحاكِم في السلطة في ظلّ تسارع الزَّمن بفعل تطوّر وسائل الاتّصال الحديثة، مُعتبراً انّ «الربيع العربي» الذي بدأ في أواخر العام 2010 أحدث تغييراً جذريّاً في ما خصّ مسألة ثبات الحاكِم في العالَم العربي، وخصوصاً أنّ وسائل الاتّصال الحديثة كانت آداة رئيسة في إحداث التغيير، لكون الجيل الذي أَطلَق الحراك هو جيل الشباب المتمكِّن من استخدامها، وهذا ما يدلّ، برأيه، على أنّ التغيير صار مطروحاً على مستوى العالَم، وليس هناك من دولة بمنأى عن تأثير تسارع الزَّمن .

تُراجِع بيسان طيّ كِتاب هارموت روزا «**التّسارع ، نقدٌ اجتماعيّ للوقت**»، فتتوقّف عند بحثه النقديّ في مسألة الوقت والتّسارع، بأبعاده الثقافيّة والاقتصاديّة، وعلاقة ذلك بالتحديث، والوقت اللّاوقتي، وتسليع الوقت، وتقلّص الحاضر. كذلك تتوقّف عند إجابات روزا عن تساؤلات حول الدَّولة في عصر التسارع، مُتحدّثاً عن أزمة الوقت السياسي الناتجة عن انتفاء الوقت السياسي والبُنى الزَّمنيّة للدوائر الاجتماعيّة الأخرى. ويجد روزا أنّ التّسارع المتفلِّت من السيطرة الأخلاقيّة والسياسيّة يُظهِر قوّة معياريّة مُتزايدة، لكنّه يخفي أيضاً إمكانات متزايدة لتنامي أمراض التسريع ، وخصوصاً في ما يتعلّق بمشاعر الفرد وقناعاته الخاصّة، مشيراً إلى أنّ التسريع يجعل من الكآبة مرض الحداثة المتقدّمة. وحول نهاية التاريخ أو النهاية المتخيَّلة لتاريخ التسريع، أجاب روزا بأنّ التاريخ لن يكون حاضراً ليشهد نهايته، ومن وجهة نظره، فإنّ إشكاليّة ما بعد التاريخ

ليست نهاية العالَم إنّما هي نهاية المعنى. لذا يكمن التحدّي اليوم في معرفة القوانين التي سمحت بالتّسارع .

في المقابل، يُراجع خالد غزال كتاب سيّار الجميل «**المزامنات الأولى: مشروع فكري عربي**»، فيشير في البداية إلى أنّ الكِتاب يتضمَّن عرضاً مفصّلاً للمعضلات الفكريّة والثقافيّة التي يُعاني منها العالَم العربي، واصفاً أمراضنا، مُقدِّماً اقتراحات مستقبليّة تتجاوز زمننا الرّاهن. ويتوقّف عند تشخيص الكاتِب للمشكلة المتمثّلة في أنّ دولنا ومجتمعاتنا كانت لا تفقه معنى تحوّلات التاريخ والحياة، وأنّها كانت، ولمّا تزل، تمشي وعيونها إلى الوراء. ويجد الجميل أنَّ لا مكان اليوم لشعوبٍ وأُممٍ لا تعترف بأنّ الزَّمن الحاضر هو مختلف عمّا سبقه. وخلص غزال إلى أنّ كِتاب الجميلٍ هو دعوة إلى تجديد المشروع النهضوي الذي عرفت المنطقة إرهاصاته في القرن الماضي ويشهد اليوم ذروة انهياره من خلال الحروب الأهليّة وانفكاك مقوّمات الدَّولة لصالح العصبيّات العشائريّة والطائفيّة والإثنيّة.

المحور الثالث - في قياس الزَّمن وحسبانه

يطرح هذا المحور إشكاليّة حسبان الزَّمن وقياسه، سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد الذين يمرّون بظروف قاهرة كالسجناء السياسيّين، أم على مستوى الشركات التي غدت تُسلِّع الوقت، وتشتريه عوضاً عن شراء قوّة عمل العاملين لديها، أم على مستوى التشريعات وخطط التنمية، والمشاهد العمرانيّة.

تقرأ هيفاء زنكنة مذكّرات أربعة سجناء سياسيّين، وكيف تغيَّر إحساس السجناء بالزَّمن تدريجياً؛ فتسأل عن معنى الزَّمن بالنسبة إلى المُعتقَل وهو لا يزال في فترة الاستجواب أو بعد إصدار الحُكم عليه، وعن كيفيّة تعامله مع الزَّمن السجنيّ، بتعدّد مستوياته، وانعكاس ذلك على يوميّاته في السجن، وعلى قدرته على الصمود النَّفسي، وعلى التذكّر والتمييز بين الحاضر والماضي. وتخلص إلى أنّ توثيق هؤلاء لتجاربهم ما هو إلّا محاولة لاستعادة الذّات الإنسانيّة وأحلامها بعد إطلاق السراح سعياً لمواجَهة عمليّة تغييبهم من الذاكرة الجماعيّة.

تختار رفيف رضا صيداوي ميدان العمل في الشركات المتعدّدة الجنسيّة كإطار

ميكروي لمقاربة التشابكات القائمة بين الزَّمن الكوسموبوليتي الحديث من جهة، والأفراد من جهة أخرى، بغرض تلمُّس بعض ملامح ديناميّات علاقة الأفراد بهذا الزَّمن الجديد الذي يفرض شروطه وزمنيّاته، انطلاقاً من إطار العمل وسياقاته؛ فتُحاور 6 أشخاص ممَّن يعملون في هذه الشركات. وقد أوصلها هذا الحوار المعمَّق إلى إيضاح الكيفيّة التي تتفاعل فيها أزمنة الحياة والعمل، انطلاقاً من أبعادٍ تتّصل بكيفيّة مُواءَمة الأفراد بين أوقات العمل والحياة الخاصّة، وبمدى تغلغل ثقافة المدى القصير في أساليب الحياة، وبميل الأفراد المتزايد نحو الخيارات الشخصيّة وتحقيق الذّات.

في البُعد القانوني، تبحث عزّة سليمان في تحوّل مفهوم الزَّمن في القوانين الحديثة من عنصر مؤثِّر على الحقّ إلى مكوِّن من مكوّناته، بهدف حماية ممتلكات الشعوب وخصائصها الفنيّة والهندسيّة؛ مشيرةً إلى أنّ قانون حماية البيئة كرَّس مفاهيم جديدة أُدخلت إلى القاعدة القانونيّة من خلال التنمية المُستدامَة وحقوق الأجيال القادِمة، وهذا ما عزَّز فكرة الزَّمن الاستباقي. وتخلص إلى أنّ المفاهيم القانونيّة تحوّلت من الجمود إلى الحركة بفعل عامل الزَّمن الذي يؤثِّر في تطوّر العلاقة الاجتماعيّة - الثقافيّة - البيئيّة. ومن ضمن هذا الإطار، تكرَّست المسؤوليّة الاجتماعيّة كمعيار أساسي في عالَم الأعمال.

وتُظهِر أمال حبيب أهمّية عامل الوقت في الاستدامة، بالاعتماد على ما توصَّل إليه مؤتمر ريو20+ ، معتبرةً أنّ التحديد الأساسي للتنمية المُستدامة يضع الزَّمن في مُواجَهة الأجيال الحاضرة مع الأجيال المستقبليّة، ويربط بالوقت تلبية حاجاتها الحاليّة والمستقبليّة، لذا حَلَّت الاستدامة، الهادفة إلى تحسين حياة الإنسان بالحفاظ على البيئة ومجابهة الفقر، محلَّ النموذج الذي يعتمد المؤشّر الاقتصادي في قياس النموّ. وتلفت إلى أنّ الوقت مهما كان مداه يُعَدّ عنصراً أساسيّاً من عناصر الاستدامة إلى جانب الطبيعة وإمكاناتها، والمجتمع ومفهوم الكائن فيه.

تدرس سلمى سماحة دَور الزَّمن في الذاكرة الجماعيّة والفرديّة وأثره على المشهد، باعتباره إحدى أدوات استخراج هذه الذاكرة، وإحدى الوسائل التي يُمكن من خلالها تحديد التطوّر الزَّمني للمجتمع. فالمشهد يتغيّر مع مرور الزَّمن وفقاً لتأثيرات طبيعيّة أو بشريّة عاديّة أو قسريّة من خلال الحروب. كما تشير إلى دَور المشهد في إظهار التاريخ وفي إظهار نَوع الوقت الحرّ المتروك للشعوب والأفراد وكمّيته، فضلاً عن دَوره في

تشكيل أداةٍ لحفْظ هويّة الشعوب. وتخلص إلى رصد رؤيّة المواطن للمشهد اللّبناني ومقارنته بالواقع الحالي، بما يُظهِر ازدواجيّةً لجهة حقيقة انتمائه.

المحور الرابع - في ملعب الزَّمن: أنماطُ عَيشٍ ومَسارِب ودُروبٌ مُتعرِّجة

يستنطق المحور الرابع وعي الزَّمن لدى الشعوب والأفراد، طارِحاً إشكاليّة استرجاعه، ووعي مساراته المُتعرِّجة أثناء اللّعب على مسرحه، متوقّفاً عند بعض أساليب توظيف المخيّلة للتلاعب بشريط أحداثه، واستدعاء الذاكرة للاحتفاظ ببعض محطّاته أو لنسيانها.

تَعتبِر رجاء نعمة أنّ إرساء التحريم هو المنعطف الأهمّ في تنظيم حياة البشر، وأنّ انتهاكه ارتبط أسطوريّاً وتاريخيّاً بالعُنف والمأساة. فتسعى إلى قراءةٍ جديدة لبعض النصوص الأساسيّة التي تناولت انتهاك التحريم، وتتوقّف مطوّلاً أمام «أوديب» وقراءة فرويد المُجتزَأة لها. وقد حاولت خلال ذلك، إعادة الاعتبار للعناصر والأبعاد التي أغفلها في قراءته، بخاصّة ما يتّصل منها بالبُعدَيْن النفسي والأنتروبولوجي؛ ثمّ انتهت إلى اكتشاف ما تنطق به بواطن هذه الأسطورة وبلْورة معضلتها الأساسيّة التي قادت أسرتها الملكيّة إلى انتهاك المحرَّم. وتخلص إلى أنّ المنعطف الثاني في تاريخ البشر قد آن أوانه، ألا وهو تحريم قتل المواليد.

يجد يوسف شعبان أنّ الأزمنة الثقافيّة والتاريخيّة والسياسيّة تختلط في ما بينها، مُلاحظاً أنّ القوى الحديثة الساعية إلى تسييد فكرةٍ ما تلجأ إلى النصوص القديمة، وتُبرِز النصوص الدينيّة، المُستخدَمة والمُستثمَرة سياسيّاً، في صدارة الأعمال الفنيّة والأدبيّة والفكريّة؛ وعلى هذه الوتيرة، جاءت نصوصٌ فنيّة في الآداب والمسرح تتذرَّع ببعض المقولات القويّة في أزمنة سحيقة لتمرير بضع أفكار قديمة ومُستلَبة من سياقاتها التاريخيّة – الزَّمنيّة لزرعها في الأزمنة الحديثة.

من منطلق تخصّصها في الفلسفة، تستعرض نجلا حمادة تجربتها، متنقِّلةً بين مراحل تختلف فيها نوعيّة الحرّية المعيشة. وبدفعٍ من رغبات تحوك عيشها للزَّمن، وبغرض التعمّق في فهْم تجربتها في عَيش الزَّمن، تَضع نفسها على محكّ ما أتى به الفلاسفة

هنري برغسون وتيودور هرتزل وجان بول سارتر، فضلاً عن غيرهم من علماء الاجتماع والمحلّلين النفسانيّين؛ حيث اعتبر برغسون أنّ الزَّمن المعيش ذاتيّاً هو من صنع الحريّة، ودرس هرتزل الإحساس اليومي بالوقت من وجهة ظواهريّة، فيما أعطى سارتر أهميّة مركزيّة للحريّة العمليّة صانعة التغيير، وذلك بهدف التوقّف عند الفوارق الثقافيّة والجندريّة في النَّظرة إلى الزَّمن.

تتوقّف جين سعيد المقدسي عند ذكرى مرور مئة عام على وعد بلفور، فتربط بين الزَّمن والسياسة، بين التاريخ الوطني والذاكرة الفرديّة كما الجماعيّة. وتشدِّد على فكرة إحياء هذه الذكرى كسبيل لإعادة السيطرة على الزَّمن والتاريخ، وترى أنّ التذكار الرسمي يعفينا من رؤية التاريخ كنهرٍ كبير يدفع بقوّته الأوطان والشعوب أمامه إلى بحر النسيان، فيحرمنا من إرادتنا الخاصّة، في حين أنّنا بالتذكّر نستعيد سيطرتنا على مصيرنا. فحين نتذكّر كشعب الوعد المشؤوم ومحطّات ماضينا القريب المليء بالحروب والضياع والخَيبات والمآسي المتتالية، نتذكّر أيضاً أنّ تاريخنا مليء بالنضال والمقاومة وعدم الاستسلام للمشروع الإمبريالي والمخطّط الصهيوني. وتخلص إلى أنّ استرجاع الماضي، كما كان من مئة عام، يُعيد ذكرى فلسطين الواحدة، غير المُقسَّمة والفلسطينيّين غير المُشتّتين، وهكذا نسترجع أملنا بمستقبلنا.

تشي الشهادات بتجارب متباينة في عَيش الزَّمن: من السعي لالتقاطه في ظلّ إيقاعات الحياة المُتسارِعة، إلى الاستعانة بالمخيّلة للتحكّم به، إلى صعوبة تعيين جماليّته النابعة من صعوبة الإمساك بالرغبة في السعادة، إلى مواجهته عبر مواجهة النَّفس، واستعادة ما هو مفقود بحبّ الحياة، ومحاورته كذات أنثويّة تعتبر أنّ الزَّمن يولَد من أحشائها.

تخبرنا إفلين حمدان عن تجربتها لالتقاط الزَّمن في عصر مليء بالتغيّرات الطبيعيّة والاجتماعيّة المرتبطة بإيقاعات الحياة المختلفة. وتركِّز في شهادتها على أنّ وقت التفكّر والتأمّل لم يَعُد في متناول اليد. وتُفصِح لنا عن نضالها للمحافظة على «وقتها»، وعن مصارعتها للزَّمن ليس لإيجاد نفسها فحسب، وإنّما بحثاً عمّا ضاع منها بين الماضي والحاضر.

وتُظهِر الأديبة نازك سابا يارد تجربة مختلفة في تعاملها مع الزَّمن، فهي تخبرنا كيف

تفصل في علاقتها بالزَّمن بين حياتها اليوميّة وكتاباتها. ولكونها تعي نسبيّة الزَّمن وتُدرِك أنّ «التمييز بين الماضي والحاضر والمستقبل ليس إلّا وَهماً»، فإنّها تترك عمليّة التحكّم بالزَّمن للعمل الروائي المتخيَّل الذي يتيح لها ما ليس مُتاحاً في الواقع.

يجد حسام عيتاني صعوبة في تعيين الزَّمن الجميل، وفي دراسته على المستوى العامّ بموضوعيّة، نظراً لارتباطه بشيء مضى أو بالانتظار لما قد يأتي، ولزئبقيّته التي ترجع إلى طبيعته البشريّة المحض، إلى وقوفه على نقيض زمن العلماء والفلاسفة وإلى صعوبة الإمساك برغبات الإنسان في السعادة وحصرها في رؤية واحدة ضيّقة. وإن كان يترجمه على أنّه الفارق بين العادي والاستثنائي، بين الواقعي والمنشود.

أمّا مُواجَهة مرور الزَّمن بالنسبة إلى خاتون سلمى فتعني مواجهة النَّفس، من الطفولة وبراءتها ، إلى آمال المراهقة الآمنة ، إلى المدينة المُشرّعة على الحروب، إلى الأحلام التي هَوَت معَ الأوطان المُجزَّأة. هذا التشتّت في حنايا الزَّمن والعودة إلى الزَّمن المفقود لم تجد له سلمى مسلكاً آمناً سوى شحنات الحبّ تجاه الحياة، ومقاطع شعريّة هادئة.

تجد ميّ جبران الأنثى هي الزَّمان، لذا تبحث عن زمنها الأنثوي، وعن علاقتها بالزَّمن من خلال علاقتها بأنوثتها. فتتوقّف عند التغييرات التي تطرأ على الجسد بفعل الزَّمن، وعند خوفها من الذاكرة في زمن عربي تضيع فيه أناها بالتماهي بالنّظام الرمزي الأبوي. ولكونها تعتبر أنّه لا معنى للحاضر خارج الماضي، فإنّها تشعر بحاجتها إلى طفولتها في هذا الزَّمن الصّعب الذي حوَّل أزمنة النساء إلى أزمنة بعيدة عن الذّات. وتخلص إلى أنّ الذّات الأنثويّة هذه هي التغيير، وإلى أنّ من أحشائها يولَد الزَّمان.

هيئة التحرير

جين سعيد المقدسي

نهوند القادري عيسى

رفيف رضا صيداوي

عزّة سليمان